مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العـدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

اللسانيات التداولية العابرة للثقافات
دراسة في الأسس والمفاهيم

بقلم أ.م.د. خالد توفيق مزعل
أستاذ اللسانيات التداولية وفلسفة اللغة وتحليل النص القرآني
(التخصص الدقيق: اللسانيات وتحليل الخطاب)
جامعة الكوفة - كلية الآداب - قسم اللغة العربية / العراق
البريد الإلكتروني: khalid.alhasnawi@uokufa.edu.iq

ملخص

يصب هذا البحث في مجال اللسانيات المعاصرة، وعلى وجه التحديد في مجال المقاربة التداولية منها. وتتجلى أهميته في الوقوف على الاتجاه الأخير في الدرس التداولي، وهو (التداولية العابرة للثقافات cross-cultural pragmatics). وتكمن مشكلة البحث العلمية في أنَّ هذا الاتجاه- على الرغم من قيمته العلمية- لم يلتفت إليه اللسانيون العرب، ولمّا تُترجم أبحاثه بعد للباحث العربي، ولم يتجلَ في الدراسات التداولية في الوطن العربي؛ لذا آثرت في هذا البحث نقل المصطلح إلى العربية عن طريق اتباع منهج يعنى أولا: ببيان أهم الأسس التي قام عليها في اللسانيات التداولية الغربية. ويلتفت تاليا: إلى تقصي أبرز المفاهيم التداولية التي يشتغل بها. أما أهم النتائج التي خلص إليها البحث، فهي أنَّ هذا الاتجاه التداولي يعد ميدانًا خصبًا لتسليط الضوء على أسس تعايش الثقافات واحترام الآخر المختلف. فضلا عن ذلك، فإنه سبيل إلى تأكيد التعدد الثقافي على نطاق البلد الواحد؛ عن طريق الالتفات إلى مقاصد الآخر في كلامه وتفسيرها من جهة المتلقي على أسس نابعة من ثقافة الآخر لا من ثقافته هو.

الكلمات المفتاحية: الكفاية بين الثقافات، المخططات الثقافية، الاختلاف الثقافي، الفشل التداولي، الجندر، الصمت، الترجمة الثقافية.

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

Abstract:

The aim of this research that put light on new pragmatic aspect in contemporary linguistic studies, this is cross-cultural pragmatics, which it using the new principles and concepts to refer to the different cultural communicative ways. They have variety of intentional meanings. therefore, there are intention to use them to discover special new sorts of communication as well as pragmatic failure. According to method of this research I divided the material four parts: introduction, two chapters, and conclusion.

Keywords: intercultural competence, cultural schemata, cultural difference, pragmatic failure, gender, silence, cultural translation.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمد، وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فلا ريب في أنّ ديدن العلوم قاطبة هو التجديد والتطور المستمر بحثًا عن كل ما هو جديد. وهو أمر يحدث بين الفينة والأخرى؛ استجابة لمستجدات الحياة الإنسانية وحاجاتها المتنامية التي تقتضي ما يناسبها من مناهج ذات أسس وأدوات قادرة على مواكبة التطور والانفتاح فيها. وكان من نتائج دينامية التطور في الاتجاهات التداولية أن ظهر في ثمانينيات القرن الماضي اتجاه تداولي يُعنى برصد مشكلات التواصل بين الثقافات المختلفة، وهو التداولية العابرة للثقافات. أما رواد هذا الاتجاه فهم اللسانيون الذين لحظوا أنَّ هناك مشكلات على صعيد التواصل تقصر الاتجاهات التداولية السابقة عن تحليلها؛ فعمدوا إلى أدوات جديدة تمخضت عن أسس ومفاهيم أقاموا عليها اتجاهًا جديدًا في الدرس التداولي قادرًا على تفسير مشكلات التواصل تلك. ولعلَّ السبب الرئيس الذي لفت انتباه الباحثين إلى تلك الملاحظ ذات الطابع التداولي، هو الإشكالات التواصلية الخطيرة والمعقدة التي تواجهنا في حياتنا اليومية، وهي في تزايد يومًا بعد يوم؛ ولاسيما أنَّنا نعيش في عصر انفتاح الثقافات على غيرها، وتطور طرق التواصل الاجتماعي (Social Media)، وظهور ما يسمى بالعولمة في بعض الثقافات، فضلا عن تصارع الثقافات المسيطرة سعياً نحو (المركزيات الثقافية). ومن ثمَّ أصبح الالتزام أو عدمه بقواعد التخاطب المطَّردة عندنا لا يقدم لنا تفسيراً للفشل الحاصل بخصوص عدم تعرّف المتلقي على مقصد المرسل في التواصل عبر الثقافي، أي: الذي يقع بين متكلمينِ ينتميانِ إلى هويات وبيئات ثقافية ولغوية مختلفة.

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العـدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

من هنا التفت كثير من اللسانيين التداوليين إلى هذه الإشكالية في التواصل؛ فوجدوا أنَّها تحصل بصورة واضحة عند أولئك المتكلمين غير المحليين الذين يتواصلون عبر ثقافتهم ولغتهم الثانية مع المتكلمين الأصليين الذين يتواصلون معهم عبر ثقافتهم ولغتهم الأم. وقد أرجعوا هذا الأمر إلى اختلاف (المخططات الثقافية) لأطراف الخطاب بشأن قواعد التخاطب، أو قوانين التفاعل والتفسير المتواضع عليهما في جماعتيهما اللغوية (المسكوت عنه). وإذا كان الأمر كذلك فهم بحاجة إلى كفاية تكون عابرة نحو الثقافات الأخر، تستطيع أن تمد جسور التواصل بين أشخاص من ثقافات مختلفة. ويبدو للباحث أنَّهم أرادوا بكلامهم هذا أنَّ هذه القواعد نسبية وليست ثابتة تختلف من ثقافة لغوية إلى أخرى، وأنَّ عدم تنبُّه المتحاورين إلى هذا الأمر سيفضي إلى فشل في التواصل من دون أنْ يعوا السبب وراء ذلك. وهكذا دعت الحاجة إلى تداولية عابرة للثقافات تأخذ بحسابها هذه المتغيرات في "مخططاتنا الثقافية" وأثرها في إنجاز مقاصدنا وتأويلها في أثناء التخاطب.

أما لناحية منهج البحث، فقد اعتمد الباحث منهجًا وصفيًا عماده التحليل. واقتضى هذا المنهج أن تُقسَّم مادة البحث في مدخل ومبحثين تتلوهما خاتمة بأهم النتائج التي يخلص إليها البحث. في المدخل وقف الباحث على تعريف يبين حدود التداولية العابرة للثقافات. وفي المبحث الأول سعى البحث إلى بيان الأسس التي قامت عليها اللسانيات التداولية العابرة للثقافات، أما المبحث الثاني فقد خلص إلى بيان أهم المفاهيم التي تمخضت عن هذا الاتجاه مشيرًا إليها بمصطلحاتها الدالة عليها. ثم أحصى في الخاتمة أهم النتائج التي خلص اليها البحث.

مدخل: مفهوم التداولية العابرة للثقافات

تمثل التداولية العابرة للثقافات Cross-cultural pragmatics مقاربة جديدة في الدرس اللساني المعاصر، تُعنى ببيان أثر الاختلاف الثقافي Cultural difference في التواصل بين أطراف الخطاب الذين ينتمون إلى ثقافات مختلفة، ولاسيما أسباب الفشل التداولي Pragmatic failure العائد إلى الاختلاف الثقافي، وهذا الأخير يعود إلى اختلاف المخططات الثقافية Cultural schemata. ولو تتبعنا نشأة هذا الاتجاه من الناحية الزمنية لوجدناه قد ظهر في ثمانينيات القرن العشرين في أوربا، وتطور في التسعينيات، ومن ثم نضج في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين بعدما أخذت موضوعاتها تضرب بعمق في الدراسات بين الثقافات Intercultural studies على صعيد الممارسات التنظيرية والتطبيقية؛ إذ انبرى لها ثلة من اللسانيين في مختلف أرجاء العالم، وباتت تُعَد الفرع الأحدث في اللسانيات التداولية.

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العـدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

أما في ما خصّ حد المصطلح فقد عرَّف اللغوي البريطاني جورج يوول (التداولية العابرة للثقافات) بأنَّها ((دراسة توقعات مختلفة بين مجتمعات مختلفة في ما يخصُّ تكوين المعنى))[1]. في حين عرفتها اللغوية البريطانية جيني توماس من زاوية الممارسة الفعلية على نحوٍ أكثر تفصيلاً من سابقه بوصفها ((ضربًا من التواصل يقع بين شخصين أو أكثر من أي مكان كان، لا يتشاركان اللغة أو الخلفية الثقافية الواحدة، ومن ثمَّ فهو لا يقتصر على التفاعل اللغوي والثقافي بين السكان الأصليين وغير الأصليين في بلد معين؛ بل قد يمتد إلى الاختلاف الثقافي بين شخصين يعيشان في البلد نفسه ويتكلمان اللغة نفسها بيدَ أنَّ ثقافتيهما مختلفتان، وهو يضمُّ على سبيل المثال العلاقة بين العاملين والمديرين، أو الخطاب الأكاديمي الذي يتلقاه الطلاب الوافدون إلى الجامعة لتوهم"[2].

نفهم من هذين التعريفين أنّ من الأسس التي تقوم عليها التداولية العابرة للثقافات أنها لا تقتصر في بحثها على مقاصد المتكلم فحسب، بل تتجاوز ذلك إلى كفاية المتلقي (الذهنية وغير الذهنية) في الاستدلال والتواصل؛ ومن أجل ذلك قامت على أسس تُعنى بمتلقي الخطاب بالقدر نفسه الذي تعنى به بالمتكلم، وهو ما سيتضح في المبحث القابل.

المبحث الأول: أسس اللسانيات التداولية العابرة للثقافات

من أهم الأسس الاصطلاحية النظرية والتطبيقية التي قامت عليها التداولية العابرة للثقافات: الكفاية بين الثقافات، المخططات الثقافية، الاختلاف الثقافي؛ لذا ينبغي لنا الوقوف عند هذه الأسس، وبيان أبعادها في الدرس اللساني التداولي المعاصر.

أولا: الكفاية بين الثقافات: Intercultural competence

يذهب كثير من الدارسين إلى أن الكفاية بين الثقافات هي امتداد للكفاية التواصلية communicative competence. ولا يخفى أنَّ هذه الأخيرة قد أصابت حظًا وافرًا من اهتمام الدارسين في مجال اللسانيات الاجتماعية والتداولية، فكانت محور هذين الاتجاهين من اللسانيات؛ منذ أن ظهرت عند اللغوي الأمريكي دَيل هايمز الذي رأى أن الكفاية اللغوية التي قال بها سلفه تشومسكي لا تفي بتفسير عملية التواصل؛ لأنها تقتصر على معرفة المتكلم بقواعد الصياغة النحوية الخاصة بلغته فحسب. في حين تقتضي الكفاية التواصلية معرفة مستعمل اللغة الطبيعية بقواعد التركيب النحوي، والصرفي، والصوتي، وغيرها من القواعد، فضلا عن معرفته بكيفية استعمال المقولات بطريقة تناسب المقام[3].

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العـدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

لقيت هذه الالتفاتة نحو الكفاية التواصلية اهتمامًا عند اللسانيين؛ فتطور المفهوم بعد هايمز عند كانال وسوين، فأصبحت الكفاية التواصلية مفهومًا رئيسًا عندهما يقوم على أربع كفايات فرعية هي: الكفاية النحوية، وهي المعرفة بقواعد اللغة، والكفاية السوسيولسانية، وهي المعرفة بقواعد الثقافة الاجتماعية التي تُعتمَد في سياق معين، والكفاية الاستراتيجية، وهي المعرفة بكيفية استعمال الاستراتيجيات التواصلية التي تعالج التوقفات في أثناء التواصل، والكفاية التخاطبية، التي هي المعرفة بكيفية إنجاز الانسجام والتماسك في النص المنطوق أو المكتوب[4].

وعلى الصعيد نفسه عمد اللغوي الصيني شين إلى اتخاذ الكفاية التواصلية سبيلا للوصول إلى تحديد الكفاية بين الثقافات؛ فذهب إلى تحديد الكفاية التواصلية بأنها قدرة الفرد على الاستمرار بالتواصل فعليًا، وبصورة ملائمة؛ للحصول على الاستجابة المنشودة من لدن الآخر في سياق تواصلي معين[5]. يشير هذا التعريف إلى وجود جانبين في الكفاية التواصلية: الأول: إنَّ الأفراد بإمكانهم أن يعبروا عن طريق كفاياتهم التواصلية عن مقاصدهم. والثاني: إنَّ الكفاية التواصلية تمكنهم من إنجاز أهدافهم المبتغاة من وراء التواصل[6].

في التعريف السابق نلحظ أنَّ شين كان مدركًا أنَّ هذا التعريف لا يقدم مفهومًا واضحًا للكفاية بين الثقافات؛ لأنَّها أمر جديد يقتضي إعادة الفهم التي حددها الدارسون لمفهوم التواصل؛ لذا سعى إلى تحديد الكفاية العابرة للثقافات بأن دمج ما توصل إليه في بحوثه من فهم عنها بمفهومه عن الكفاية التواصلية؛ فصاغ تعريفًا للكفاية بين الثقافات يرى بأنها القدرة على ممارسة السلوكات التواصلية بصورة فاعلة ومناسبة، تراعي كل هوية ثقافية فردية أو كل الهويات الثقافية الأخرى، في بيئة متعددة الثقافات[7].

وهذا يعني أننا لا نتكلم على الكفاية بين الثقافات إلا إذا كنا بإزاء متخاطبين ينتمون إلى ثقافات مختلفة؛ من هنا فقد تجاوزت الكفاية بين الثقافات الكفايتين اللغوية والتواصلية؛ لأنها تقتضي الإحاطة بأمور أُخَرَ ينبغي لمستعمل اللغة أن يتوافر عليها، وهي قدرة الفرد على تغيير معرفته ومواقفه وسلوكاته، لتكون منفتحة ومرنة تجاه الثقافات الأخر. وهذا الأمر يقتضي من الفرد وعيًا ثقافيًا، وكفاية تواصلية، ومراعاة المواقف الشخصية، كالتعاطف والمرونة، ويقتضي كذلك وعيًا ذاتيًا وفهمًا لقيم الآخرين، والمسلمات الثابتة في ثقافتهم، ومعتقداتهم. ومن ثم تُعرَّف بأنها المعرفة بالكيفية التي بوساطتها يتم فهم جانب من الكلام المنطوق أو المكتوب وإنجازه في سياق ثقافة

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العـدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

اجتماعية معينة. وهذا يقتضي معرفة عناصر الثقافة، ومنها قواعد السلوك المتوافرة في المجموعة اللغوية الهدف. فضلا عن عناصر الوعي المعتمدة في التعامل بين ثقافة وأخرى، ومن ضمنها ملاحظة الجوانب المتشابهة والمختلفة في أثناء التواصل بين الثقافات[8].

ثانيا: المخططات الثقافية: Cultural schemata

ليس بإمكاننا الحديث عن تداولية عابرة للثقافات من دون وجود اختلاف في المخططات الثقافية بين أطراف الخطاب؛ لأنَّ المخططات الثقافية هي ((بنى معرفية موجودة سابقًا معتمدة على الخبرة والتجربة في ثقافة معينة))[9]. وهذا يعني أن المخططات الثقافية تقوم على نماذج من المعارف متوافرة في وعينا سابقا، وتكون مشتركة بيننا وبين أقراننا؛ كي نستطيع أن نفسر ما يقوله الآخر ونفهمه. فلفظ schemata يعني بنى معرفية متوافرة في ذاكرتنا إزاء معلومة معينة[10]. أما المخطط فهو الطريقة التي نعرف بوساطتها الخطوات المتتالية في إنجاز أمر أو حدث ما؛ فإذا كانت هذه الخطوات تمثل معرفة مشتركة بين أفراد الثقافة الواحدة؛ فإنها لا تُذكر عادة في أثناء الخطاب. أما في حال المتحاورين الذين ينتمون إلى ثقافات مختلفة، فإن عدم ذكر بعض التفاصيل قد يؤدي في الغالب إلى انقطاع التواصل، وقد يصل هذا الانقطاع إلى مرحلة الفشل التداولي.

من هنا كان لا بد لأطراف الخطاب أن يعدِّلوا في مخططاتهم الثقافية باستمرار إذا ما أرادوا نجاح التواصل مع الآخر المختلف ثقافيًا. ومن أمثلة ذلك إخفاق التواصل بين إحدى العاملات ذات الأصول الفيتنامية في فهم مقصد مديرها الأسترالي حينما سألها عما ستفعله في عطلة عيد الفصح قائلا:

- لديكِ استراحة لخمسة أيام. ماذا ستعملين؟
- تلازم العاملة الصمت، مصحوبًا باستغراب!

كان السبب وراء الفشل التداولي بينهما انعدام البنى المعرفية المشتركة بشأن عطلة عيد الفصح، وهو أمر يعود إلى الاختلاف الثقافي بينهما من ناحية المعرفة بتلك المناسبة الدينية التي ترافقها عطلة؛ فالمدير افترض أن العاملين لديه جميعًا يعرفون اقتراب عطلة عيد الفصح، وأنهم سيتمتعون فيها بعطلة لخمسة أيام كما هو معهود عند المسيح. أما العاملة ذات الأصول الفيتنامية فقد فهمت من كلامه أنه تسريح لها من العمل[11]. وهكذا يكون مقصده قد تحول من حال الإيجاب عنده إلى حال السلب عندها؛ الأمر الذي يفسر صمتها.

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

ثالثا: الاختلاف الثقافي Cultural difference

على الرغم من شروط الموفقية التي وضعها أوستن لنجاح إنجاز الأفعال الكلامية في أثناء التواصل[12]، وعلى الرغم من معايير التأدب في الحوار التي سعت براون مع زميلها ليفنسون إلى جعلها ذات صبغة عالمية تصدق على أصناف الحوار كافة، فإنَّ مسألة نجاح التواصل في التداولية العابرة للثقافات تبقى ذات طابع نسبي؛ لأنَّ معايير التواصل بين ثقافة وأخرى تخضع إلى الاختلاف الثقافي. من هنا حاولت جيني توماس أن ترجع أسباب الفشل التداولي الناتجة عن الاختلاف الثقافي بين المتحاورين إلى الاختلاف في ضربين من التداول هما:

1- التداولية الاجتماعية: Sociopragmatics

2- التداولية اللسانية: Pragmalinguistics

وترى توماس أنَّ الثاني من الممكن تجاوز الإخفاق فيه بسهولة؛ لأنَّه يتعلَّق بالإشكالات الناتجة عن الاستعمال الخطأ للكلمات والجمل: نحوياً، ومعجمياً، وتصريفياً في سياقات التواصل. ومن ثمَّ فإنَّه ذو جانب مادي مدرك سمعاً أو بصراً، ومن الممكن التغلّب عليه عاجلاً أم آجلاً. أما النمط الأوَّل فهو الأكثر صعوبة؛ إذ يصعب الظفر به؛ ذلك بأنَّه ضمني غير محسوس متغلغل في الجذور الثقافية لفئة معينة، ومن ثمَّ فهو يحتاج إلى وعي بها، وهذا الوعي يحتاج إلى تجاوز مراحل في الممارسة والعلاقات حتى يصل إليه الفرد[13].

ولا يخفى على المتمرس أنَّ التغلب على مشكلة الاختلاف الثقافي يكمن في طول الممارسة لثقافة الآخر، والتعايش معها، وقبولها. فتلك الأمور كفيلة بتجاوز الفشل التداولي في الحوار الذي قد ينتج عن الاختلاف الثقافي.

المبحث الثاني: المفاهيم الرئيسة في اللسانيات التداولية العابرة للثقافات

أولا: اختلاف الجنس Gender

لا ريب في أنَّ قضية اختلاف الجنس تُعدُّ من القضايا المهمة والشائكة في الثقافة الواحدة. وهي على مستوى أعلى من الأهميَّة والتعقيد إذا ما دُرِسَتْ في الثقافات المختلفة، ولا سيما على صعيد المحادثات التي تجري بين الجنسين، وما تتضمنهُ من مقاصد قد يجهد كلٌّ من الطرفين نفسهُ في الوصول إليها من دون جدوى، أو قد تُفهم بصورةٍ خطأٍ فتفضي إلى إشكالٍ في التواصل بين المتحاورين. فكثير من تلك الحوارات تقتضي العبور من ثقافة الإناث إلى ثقافة الذكور، أو بخلاف ذلك.

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

ولو عقدنا مقارنةً مُبسَّطة لبيان الفرق بين الثقافتين الغربية والعربية في هذا الموضوع؛ لوجدنا الفرق واضحاً بينهما. ففي الثقافة الغربية من الممكن لرجلٍ أن يتغزل بزوجةِ صديقه أمامه إذا ما التقوا في مناسبة معينة منجزاً ذلك بطريقة يمتدحُ بها جمالها وأناقتها فيقول: سيدتي أنت في غاية الجمال، وإنَّ زوجكِ محظوظٌ بك! وقد يُخاطبُ زوجها قائلاً: أنا أحسدكَ على زوجتكَ فإنَّ ذوقكَ رائعٌ في النساء! أما زوجها فلا ريب في أنَّهُ محكومٌ بثقافة المجتمع الذي ينتمي إليه، فتلك الثقافة ترى في تلك المدائح دلالة على الذوق العالي الذي يحترم النساء ويعرف قيمتها. ومن ثمَّ فإنَّ زوجها سيكون سعيداً وفخوراً إزاء تلك المدائح التي تكال لزوجته. أما في الثقافة العربية ذات الطابع القبلي ومنها الثقافة العراقية، فإنَّ مثل تلك المدائح – غالباً - لا تفضي إلى فشل في التواصل فحسب، بل قد يقع ما لا يحمَدُ عقباهُ. والمتحاورون العرب يحتكمون في ذلك إلى ثقافتهم الناتجة عن عاداتهم وتقاليدهم التي تحول دون قبول ذلك؛ فضلاً عن تأثير الجانب الديني (الدين الإسلامي)[14] الذي يُحرّمُ ذلك.

ولما كانت إشكالية التواصل هذه على هذا المستوى من الأهمية فقد التفتَ إليها التداوليون من اللسانيين، ومنهم جورج يوول الذي أوردَ لها مثالاً في نهاية كتابه (التداولية) متسائلاً عمَّا إذا كان بالإمكان النظر إلى التفاعلات بين الذكور والإناث بوصفها مظهراً من مظاهر التداولية العابرة للثقافات. وقد أوردَ لها مثالا ساقه على النحو الآتي:

((كانت إحدى النساء تقصُّ عليَّ سبب انتهاء علاقة امتدتْ لسنوات طويلة. وقد أعادت على مسمعي محادثة محورية دائمة التكرار. اتَّفقتْ هي والرجل الذي كانت تعيش معه على أن يعيش كلٌّ منهما حرّاً ولكن بشرط ألّا يُقدم أحدهما على فعل شيءٍ من شأنه إيذاء الآخر. وعندما بدأ الرجل بخيانتها مع نساء أُخريات احتجَّتْ عليهِ المرأة وكان احتجاجها قد أثار حفيظة الرجل؛ فسارت المحاورة بينهما على النحو الآتي:

- هي: كيف تجرؤ على أن تفعل هذا وأنتَ تعلم أنَّهُ يؤذيني؟
- هو: كيف تجرؤين على تقييد حُريَّتي؟
- هي: ولكن هذا الأمر يجعلني أشعر بالقرف.
- هو: أنتِ تحاولينَ استغلالي))[15].

يرى يوول، أنَّ هذه المحاورة مثال على تصارع الإرادات؛ إذ إنَّ ما أراده مناقض لما تريده هي. ومن ثمَّ تُظهر هذه المحاورة – وبطريقة ثرية – الاختلاف في مكمن التركيز، فالمسألة الأساسية لهذا الرجل تكمن في استقلاليته وحريته فيما يقوم بهِ. بينما تكمن المسألة الأساسية للمرأة في اعتمادها على الرجل وشعورها تجاه ما قامَ بهِ. وقد فسَّرَ الرجل إصرارها على اعتمادها عليه

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العـدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

بأنَّهُ استغلال؛ ذلك بأنَّها تستخدم مشاعرها لتسيطر على سلوكه[16]. ومن ثمَّ يتساءل يوول حول القضايا أو الموضوعات التي بإمكان مصطلح "عبر – الثقافي"، أنَّ يغطيها، وهل يقتصر هذا المصطلح على التواصل بين أناسٍ ينتمون إلى بلدانٍ مختلفة؛ أم إنَّه يشتمل حتى على دراسة التفاعلات بين الذكور والإناث داخل البلد الواحد (الذي يتشاركون كثيراً في الثقافة نفسها). وهل إنَّ هذه الإشكالية تعدُّ ثيمةً تُدرس في حقل التداولية العابرة للثقافات[17]؟

إذا كان يوول ما زال يتساءل فإنَّ اللغوية البولندية ويرزبيكا قد حسمت الأمر إزاء تلك الإشكالية؛ إذ وجدتْ في سياق حديثها عن اختلاف الثقافات من حيث استجابة المتحاورين للمدائح التي توجَّهُ لهم، أنَّ هناكَ تفاوتاً بين ثقافة وأخرى. ففي ثقافة الإناث تختلف الاستجابة للمدائح عما هي عليه عند الذكور. هذا من جهة ومن جهة أخرى، فإنَّ استجابات الإناث أنفسهن للمدائح تختلف من ثقافة إلى أخرى. ومثال ذلك الرسالة التي بعثها رجل حائر، يسأل عن العلة وراء استجابات زوجته السلبية لمدائحه. وقد أرسلها إلى (آبي)، التي تعمل مساعدةً لرئيس التحرير في صحيفة لوس أنجلس تايمز التي تصدر في أمريكا. جاءت الرسالة وجواب آبي على النحو الآتي[18]:

- الرجل الحائر: عزيزتي آبي، أودُّ أن أسألكِ عن سلوك زوجتي، فهي دائماً تقلل من قيمة المدائح الصادقة تجاهها. فإذا قلتُ لها: عزيزتي (جي) تبدينَ رائعةً في هذا الفستان. فإنَّ إجابتها ستكون على النحو الاتي: هل تعني ذلكَ حقاً؟! إنَّهُ مجرَّد خرقة أعطتني إيَّاها أختي. أو إذا قلت لها: بأنَّها نظَّفت البيت بصورة جيدة، فإنَّ إجابتها قد تكون: حسناً، يبدو أنَّكَ لم ترَ حجرة الأطفال بعد. لذا أجد صعوبة في فهم عدم استقبالها المدائح من دون أن تقلِّل من قيمةِ نفسها. ومن ثمَّ فإنَّ ذلك يجرحني بعض الشيء. آبي هلّا توضحين هذا لي.
- آبي: عزيزي الرجل الحائر، زوجتكَ تفتقرُ إلى الثقةَ بالنفس، وتشعر بعض الشيء بالخجل من قبول المدح. فلا تكن مجروحاً من ذلك؛ فإنَّ كثيراً من الناس يواجهون صعوبة في تقبل المدائح بامتنان[19].

تعلِّقُ ويرزبيكا على إجابة آبي قائلةً إنَّ إجابتها تفتقر إلى أمر مهم وهو أنَّ الاستجابة إلى المدائح تختلف من ثقافة إلى أخرى. وإنَّ ذلك في المجتمع المتعدد الثقافات – مثل الولايات المتحدة الأمريكية– لا يعتمدون فيه على السِّمات الشخصية للناس فحسب، مثل فقدان الثقة بالنفس، بل على خلفياتهم الثقافية أيضا. فمن المحتمل جداً أنَّ زوجة ذلك الرجل لا تفتقر إلى الثقة بالنفس أو احترام الذات، بل هي ببساطة يهودية، أو قد تنحدر من أصول أوروبية شرقية، أو صينية أو يابانية؛ ففي

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العـدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

هذه الثقافات يكثر هذا النوع (الذي ينم على التواضع) في استجابة النساء للمدائح. ومن ثمَّ فإنَّ المفاجئ جداً أنَّ آبي لم تلتفت إلى ذلك الجانب من المشكلة. فالاستجابة التي نُقِلتْ بوساطة الرجل الحائر ليست انحرافاً عن القاعدة، بل هي مثال نموذجي على الأسلوب المختلف، وهو شائع في ثقافات كثيرة غير الثقافة الأمريكية[20].

ثانيا: الفشل التداولي pragmatic failure

من أبرز المفاهيم التي عُنيت بها اللسانيات التداولية العابرة للثقافات، هو الفشل التداولي. ويُراد به انقطاع التواصل اللغوي بين متخاطبين ينتميان إلى ثقافتين مختلفين نتيجة عدم فهم أحدهما الآخر. وقد ذكرت جيني توماس أنَّ هذا الفشل يقع لسببين سبق أن ذكرناهما في فقرة الاختلاف الثقافي، وهو اختلاف أطراف الخطاب ثقافيًا في جانبين، أحدهما الجانب اللساني، والآخر الجانب الاجتماعي[21].

من هنا نفهم أنَّ الأمر لا يقتصر على الاختلاف الثقافي الناتج عن اختلاف بيئة الرجال وطرق تفكيرهم عمَّا هي عليه عند النساء كما هي الحال في الفقرة السابقة. فقد تقع إشكالات التواصل بين الزوج وزوجه نتيجة الاختلاف في طرق إنجاز الطلب أحدهما من الآخر. ولعلَّ مصداق ذلك الشاهد الذي ساقه اللساني الإيطالي هنترهولزل، إذ يُبيِّن فيه أثر تنوع الثقافات في طريقة إنجاز الطلب بين زوجين هما السيد يوول وزوجه ديانا. وقد وضَّح كل من الزوجين هذا الإشكال على النحو الآتي[22]:

- يوول: أحسب أنَّ إظهار الاهتمام بالآخرين يعني التحدث مع الناس مباشرة وبصدق. لذا أعتقد أنَّ خلاف ذلك يُعدُ التفافاً في الكلام، وهذا الالتفاف يبدي عدم مراعاة الآخرين. أشعر بالإساءة والخداع حينما أجد أنَّ أحد الأشخاص القريبين مني يحاول أن يخبرني شيئاً ما ولكنَّه لا يصرح به. من هنا أرى أنَّ التحدث بصدق وبصورة مباشرة هو أمرٌ في غاية التحضّر والمصداقية، فعلى سبيل المثال، أتضايق دائماً بعض الشيء من ديانا (زوجته) عندما تفعل ذلك دائماً؛ فهي تسألني إذا ما كانت لدي رغبة في أن أحمل بانيف (ابنهما).
- ديانا، تردُّ على كلامه قائلة: ولكن ذلك هو أفضل طريقة للسؤال. فأنا لا أفرض عليه الأمر؛ بل أحاول بذلك أن أجعل الطلب لطيفاً، ومن ثمَّ أتيح له المجال كي يختار بين الموافقة والرفض.

يوضح هنتر هولزل العلَّة في الاختلاف بين الزوجين بأنَّه عائدٌ إلى الاختلاف الثقافي بينهما؛ ذلك أنَّ ديانا قد نشأت وترعرعت في فرنسا أما يوول فهو رجل إسرائيلي الأصل والنشأة، ومن ثمَّ

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العـدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

هما يختلفان في الرأي إزاء المعنى الاجتماعي في قضية المباشرة وعدم المباشرة في الطلب تبعاً للأعراف الاجتماعية في الثقافات التي ينحدر منها الزوجان. فمفهوم ديانا للّباقة يجسِّد طريقتها في الطلب بحسب ثقافتها الفرنسية؛ فهي تقصد أن تتحول بوساطة (صيغة السؤال) إلى الطلب الذي ينجز أصلا بـ(صيغة الأمر)، وبذلك تتيح لزوجها المجال كي يرفض ولا يكون مضطراً للامتثال إلى فعلها الطلبي المباشر قسراً. أما يوول فهو على النقيض من ذلك؛ إذ وجد عدم المباشرة بالكلام عند ديانا يعدُّ مُهينًا. ويبدو أنَّ ذلك نابع من افتراض أنَّ التلطف- في مثل هذه الحال- أمر غير مألوف بين الزوجين. ومن ثمَّ فقد توقَّع منها أن تخاطبه مباشرة إزاء الأمر، فبالنسبة له إنَّ هذا النوع من المباشرة هو الوحيد الذي يمثل إظهاراً للاهتمام[23] وجعله يتمتع بشعور المسؤولية تجاه زوجه وابنه.

ثالثا: إشكالية الصمت Silence

تؤكِّد اللغوية اليابانية اكوكو ناكان أنَّ الصمت ظاهرة غالبًا ما تحدث في أثناء التواصل بين أشخاص من ثقافات مختلفة؛ نتيجة تعارض الخلفيات الثقافية للمتحاورين؛ لذا، هي في غاية التعقيد وتنوع الوجوه، وتتسم بقوة عناصرها في التفاعل الإنساني؛ الأمر الذي جعلها تأخذ حيزًا من اهتمام الدارسين في السنوات الأخيرة[24].

إذا كانت الجماعة اللغوية قد توارثت طرقاً أو سنناً في الصَّمت فيما بين أفرادها في أثناء الكلام، وهذا الصمت يكون له معنى أو مغزى، فإنَّ الصَّمت عند متعلم اللغة الأخرى قد يسبب تفسيراً خطأً من لدن المتكلمين الأصليين في أثناء التواصل. فعلى سبيل المثال، يُفسَّر الصَّمت الطويل غير المعتاد في الثقافات الناطقة بالإنجليزية بأنَّه رفض أو اعتراض أو نقد. وغالبا ما يُستعمل في حال ورود الأخبار السيئة أو عدم الترحيب بعودة شخص ما. أما على صعيد اليابانيين فإنَّهم حينما ينتقلون إلى التحدث بالإنجليزية فإنَّهم يميلون إلى الصَّمت قبل أن يباشروا الحديث. وهذا الصَّمت قد يُفسِّره المتكلم الأصلي بالإنجليزية بأنَّه تمهيد يشير إلى تفضيل السكوت على الإجابة[25]. بيدَ أنَّ الثقافات الأصلية (الأم) في أمريكا واستراليا ترى أنَّ الوقفات في أثناء الكلام قد يكون مسموحاً بها في حال التحول من لغة إلى أخرى. ومن ثمَّ لا ينظر إلى الصَّمت في هذه الحال على أنَّه أمر سلبي وكأنَّه علامة على انقطاع التواصل في أثناء التفاعل؛ بل هو أمر يعود إلى تنوع منابع الثقافات الناطقة بالإنجليزية[26].

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العـدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

ولا يقتصر الأمر على أطراف الخطاب الذين ينتمون إلى بيئات ثقافية مختلفة عبر دولية، بل قد يظهر بين شخصين ينتميان إلى جيلين مختلفين على الرغم من أنهما يشتركان في بيئة واحدة. ومثال على ذلك انقطاع التواصل بين (السيد ستريت، وديف) وهما شخصان يشتركان في بيئة تواصلية وموضوعية واحدة، بيدَ أنَّهما من جيلين مختلفين، وقد جرت بينهما المحادثة على النحو الآتي:

- السيد ستريت: ما اختصاصكَ يا ديف؟
- ديف: اللغة الإنجليزية – حسناً لم أقرر بالفعل بعد.
- السيد ستريت: إذاً – تريد أن تصبحَ معلماً؟
- ديف: لا – ليس فعلاً – لا أريدُ أن أكونَ معلماً.
- السيد ستريت: ما - // أين – تفضّل.
- ديف: أعني إنَّها – أوه آسف // أنا آم م م –

إذ تُعدُّ التوقفات pauses القصيرة (الموسومة بفراغ صغير "–") ترددات، بينما تكون التوقفات الأُخرُ الأطول منها صمتاً[27]. وقد أفضى اجتماعها إلى الصمت، ومن ثم إلى انقطاع العملية التواصلية بين المتحاورين ولاسيما أنَّ هذه التوقفات الطويلة التي قام بها ديف قد استلزمت مقصداً ضمنياً مفادهُ عدم الرغبة في مواصلة الحديث، إذ بحسب السيد ستريت، مَن يدرس الإنجليزية مِن شأنه أن يشتغل معلماً مستثمراً في ذلك دراسته. ومن وجهة نظر الشاب ديف فإنَّ ذلك ليس شرطاً. وفي هذا السياق يرى سبيربر وولسون أنَّه على الرغم من اشتراك المتحاورين في المحيط المادي الضيق نفسه، واشتراكهما في إنجاز افتراضات ظاهرة تبادلياً حول قضية العمل أو الهدف من تعلم اللغة الإنجليزية؛ فإنَّ ذلك لا يعني تشابه بيئتيهما الإدراكيتين، وإنَّما هما قادران على أن يفعلا ذلك[28].

وقد وجد بعض الدارسين أنَّ الصمت قد يكون أداة لممارسة التسلُّط والهيمنة في التواصل بين الذكور والإناث، فهو أمرٌ – لا ريب – يُعدُّ إشكالاً من إشكالات التواصل؛ إذ يتَّخذ الرجالُ (الصمت) سبيلاً إلى ممارسة السلطة والهيمنة على النساء؛ مستغلين غريزة الفضول الشديدة عندهن بوصفها أمرًا متجذرًا في لاوعيهن. ونجد ذلك ماثلا في رواية الكاتبة الأمريكية إيريكا جونغ المسماة (fear of flying/ الخوف من الطيران) في مشهد حواري بين إيزادورا وزوجها بينيت جرى على النحو الآتي:

- ايزادورا: لماذا تدير ظهرك نحوي؟ ماذا فعلت أنا؟
- بينيت: (يصمت)

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العـدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

- ايزادورا: ما الذي فعلته أنا؟
- بينيت: يحدق بها كما لو أنها لم تعلم أين الأذى.
- بينيت: اسمعي، دعينا فقط نذهب إلى النوم الآن وننسى ذلك فحسب.
- ايزادورا: ننسى ماذا؟
- بينيت: (يلازم الصمت مرة أخرى).
- ايزادورا: إنَّه شيء ما في الفيلم، أليس كذلك؟
- بينيت: ما ذلك الشيء في الفيلم؟
- ايزادورا: إنه مشهد الجنازة، عندما شهد الطفل موت والدته، شيء ما حدث لك عندها؛ فقد انتابك الحزن.
- بينيت: (يصمت).
- ايزادورا: أوه، هيا بينيت، أثرتَ فضولي، رجاءً أخبرني، رجاءً.

يستمر مشهد الحزن في الرواية حتى يحاول بينيت مغادرة الغرفة، بيد أنَّ ايزادورا تحاول منعه. لذا يبدو أنَّ بينيت اتخذ الصمت وسيلة للسيطرة على زوجته.

وينتهي المشهد بانحنائها نحو الأرض ممسكة بطرف سرواله، لكن السبب في صمته هو أنَّه سلاح فعال في إثارة غريزة الإلحاح عندها بقصد السيطرة عليها. من هنا لم تكن نتائج عدم التواصل بسبب صمته فقط بل تمخضت عن اجتماع صمته مع إلحاحها على الكلام. وبعبارة أخرى فإنَّ التواصل بينهما أُنجِز بأساليب مختلفة[29].

رابعا: الترجمة الثقافية

يُشار بمصطلح الترجمة الثقافية إلى نمط الترجمة التي تقوم بوظيفة الأداة في البحث عبر الثقافي cross-cultural أو الأنثروبولوجي، أو للإشارة إلى أي ترجمة حسَّاسة للعوامل الثقافية واللغوية على السواء[30].

ومن الجدير بالذكر أنَّ الترجمة لم تكن من اهتمامات الدارسين في مجال اللسانيات التداولية العابرة للثقافات منذ ظهورها، بيدَ أنَّ الأمر لم يبقَ على حالهِ، فمع نهايات القرن العشرين بدأ الدارسون يلتفتون إليها بوصفها معلماً تتجلى فيه الممارسات التداولية للغة. فوضع الدكتور باسل حاتم سنة 1997م مؤلفاً في هذا المجال بعنوان (communication across cultures: translation theory and contrastive text linguistics التواصل عبر الثقافات: نظرية الترجمة وعلم لغة النص التقابلي) فتنبه الدارسون إلى أهمية هذا المجال، وطفقوا يُنقبون في

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

إشكالاته تنظيراً وتطبيقاً، ومنهم الدكتور عماد عبد اللطيف الذي وقفَ على أهميَّة الترجمة في مجال الحوار بين الثقافات مشيراً إلى المشكلات التي تعترض سبيل المشاركين في الحوار في هذا المجال. وفي هذا السياق نقل رأي بيتر كمب في الترجمة؛ إذ يرى هذا الأخير أنَّ الترجمة نظام بقدر ما فيه من فوائد جمَّة فهو لا يخلو من مزالق ينبغي على المترجم والمتلقي عنه أن يكونا حذرين منها، ويخلصُ من ذلك إلى توافر جانبين في الترجمة؛ الأوَّل أنَّ إمكانية الترجمة بين اللغات تجعل الحوار بين الحضارات ممكناً، والثاني أنَّ المتحاورين سوف يظلون يشعرون بالغربة حتى لو تكلموا اللغة نفسها واستعملوا المفاهيم نفسها[31]. ومع مجيء القرن الحادي والعشرين توالت الدراسات عن علاقة الترجمة بالتداولية حتى غدا ذلك معلماً واضحاً في اللسانيات التداولية. فنشرت الباحثة الصربية آنيكا غلودجوفك في المجلد الثامن من سلسلة اللسانيات والترجمة التي صدرت في صربيا سنة 2010م بحثاً بعنوان (translation: as a means of cross-cultural communication): الترجمة بوصفها وسيلة للتواصل عبر الثقافات) سلطت فيه الضوء على بعض مشكلات الترجمة التي تتجلى في ترجمة النصوص الأدبية بين ثقافة وأخرى. ثمَّ نشر الدكتور رأفت الوزنة في (المجلة الإنجليزية العالمية العربية) بحثاً بعنوان (pragmatic aspect of translation) وترجمته: الجوانب التداولية في الترجمة. وكتب ديفيد فارويل وستيفن هلمريج بحثاً في (pragmatics and translation): التداولية والترجمة.

إنَّ أهمية الترجمة في اللسانيات التداولية العابرة للثقافات تكمن في أنَّ الأخيرة تنظر إلى الترجمة على أنَّها أبرز ممارسة تواصلية عابرة للحدود الثقافية الاجتماعية واللغوية، ومن ثمَّ تتجلَّى في هذه الممارسة أكثر الإشكالات التواصلية وأعقدها.

ومن الأمثلة التي تصبُ في هذا المجال أنَّ المترجمين العرب عندما أقبلوا على ترجمة مسرحيات شكسبير وقصائده واجهتهم كثير من المصاعب التداولية بخصوص بعض الألفاظ أو الاستعارات، مثال على ذلك هذا الشطر الذي افتتح به شكسبير إحدى سونيتاته: Shall I compare to thee a summer's day.

يشبه الشاعر هنا حبيبته انطلاقاً من كفاءته التداولية (التي هي جزء من بيئته الإدراكية المعرفية) بيوم من أيام الصيف. وهذه الصورة هي وليدة الثقافة الإنجليزية التي بسبب طبيعتها البيئية الباردة ترى أنَّ دفء الصيف مثالٌ للجمال والحنو بينما في ثقافتنا العربية يرتبط الصيف بالحرارة الشديدة؟ وهنا انقسم المترجمون في ترجمة هذا البيت على فريقين: فريق يرى أنَّ هذه الصورة يجب أن تُنقَل كما هي؛ لأنَّها تعبر عن ثقافة الآخر، ومن ثمَّ يجب على المتلقي العربي أن يتوقع أنَّه سوف يجد ما يختلف عما درج عليه طالما أنَّه يقرأ آداباً كُتِبَتْ لتعبِّر عن ثقافات أخرَ. أما الفريق الآخر فيرى أنَّ المترجم يجب أن يجتهد لكي يعثر في ثقافتنا العربية على صورة مجازية

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العـدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

تحمل الدلالات والإيحاءات نفسها وليس ألفاظ الصورة الأصلية فحسب. ومن ثمَّ اجتهد المترجمون في هذه الصورة، على النحو الآتي:

أ-(حسين الدباغ – مجلة أصوات – عام 1961م): هل أقول بأنَّ فتونك أشبه شيءٍ بصيفٍ جميل.

ب-(د. محمد عناني – صحيفة المساء – عام 1962م): ألا تشبهين صفاء الصيف.

ج-(صفاء خلوصي – فن الترجمة – عام 1986م): من ذا يقارن حسنك المغري بصيفٍ قد تجلى.

في حين اجتهد بعض المترجمين لتخطي هذا الأمر بأن استبدلوا كلمة الصيف بالربيع، على أساس أنَّ الربيع هو فصل المرح والجمال والانطلاق والحب. ومن ثمَّ يكونون بذلك قد عبروا عن "مقصد" الشاعر[32]. فضلاً عن ذلك أنَّ الصيف في بريطانيا يبدو أنَّه أشبه بحرارة الربيع في بلادنا. ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ ما يلحظ في عبارة شكسبير والترجمة التي حاولت أن تقدم المعنى الذي أرادَ أنَّها جميعاً بُنيت على استفهام وظَّفت قوَّتهُ الإنجازية لإنجاز فعل التعجُّب من جمال الموصوفة. ومن ثمَّ فهو لا يسأل عن جمالها بل يتعجَّب منه.

أما على صعيد السياسة، فإنَّ هناك إشكالات تواصلية تسبَّبت بها إيديولوجية المترجم، مثال على ذلك انتقدت وسائل الإعلام الأمريكية رئيس وزراء اليابان يوشيرو موري، لأنَّه نُقل عنه قوله: "اليابان هي بلد الجبابرة the delving country". وقد ذكَّر هذا التعبيرُ الغربيينَ بماضي اليابان الاستعماري المتعصِّب في مرحلة ما قبل الحرب العالمية الثانية. ومن ثمَّ حكمَ على قائل العبارة بأنَّه لم يأخذ أيَّ عظة من تجارب الماضي المرَّة، بيدَ أنَّ العبارة التي قالها رئيس الوزراء في ترجمتها الحرفية كانت تعني: "اليابان هي بلد الآلهة a country of goods"، وليس "بلد الجبابرة the delving country". ذلك أنَّ اليابان قد عرفت عددا كبيرا من الآلهة، وهذا ما أراد أن يعبِّر عنه رئيس الوزراء، بيدَ أنَّ التحيزات الثقافية أو الافتراضات السابقة تجاه هذا البلد أفضت إلى هذا المعنى (ذي الصلة) من دون غيره. وعلى أثر هذه الانتقادات استقال رئيس الوزراء الياباني من منصبه في ما بعد[33].

فضلا عما تقدم فإنَّ الخصوصية الرمزية لبعض الألفاظ في كل من ثقافة الأصل والهدف تفضي إلى إشكالات على صعيد الترجمة الثقافية، نحو ما وجهه الأستاذ خالد محمود توفيق من نقد لترجمة رواية أوراق النرجس للمؤلفة سامية رمضان إلى اللغة الإنجليزية. ويتمحور هذا النقد حول ترجمة لفظة البومة في هذا النص إلى مقابلتها في الإنجليزية: "تخرج النداَّهة من الماء. شعرها الطويل مبلل يلتصق هنا وهناك بأكتافها العارية ويصلُ حتى ردفيها. ملابسها تشفُّ عن جمال ساحرٍ أخَّاذ. ترفع يديها تدعو العابر في صوتٍ لا يُقاوم. هذا سرُّها، سرُّها في صوتها. يخلع الرجلُ ملابسه وينزل وراءها إلى الماء، وقبل أن يصل إليها تكون قد تحولتْ إلى بومة عظيمة

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العـدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

تطلق ضحكات مدويَّة في الهواء الساكن فوق البحيرة ويغرق الرجلُ"[34]. ويرى الاستاذ خالد محمود توفيق أنَّ هناك تعقيداً رمزياً في هذه الفقرة، لأنَّ لفظة النَّدَّاهة - الواردة في هذه الرواية المنتمية إلى الأدب النسوي العربي - بما فيها ولها من خصوصية ثقافية في التراث المصري تتحول إلى بومة بما لها من إيحاءات ومعانٍ تختلف في الثقافة العربية عنها في الثقافة الغربية. فالبومة في الثقافة العربية رمزٌ للشؤم والنَّحس وسوء الطالع؛ بينما هي في الثقافة الغربية رمزٌ للحكمة والوقار. ذلك أنَّ معنى الصفة "owlish" المشتقة من كلمة "owl/ بومة" في قاموس لونجمان المعاصر هو:

"serious and clever, e.g. professor Jay looked owlish in his horn-rimmed spectacles".

فهي تطلق وصفًا للشخص الجاد الوقور والذكي، على غرار بعض أساتذة الجامعات، والساسة المحنكين، والمفكرين. ومن ثمَّ فإنَّ هذا الاختلاف الواضح بين ظلال المعنى أو إيحاء الكلمة في الثقافة العربية والثقافة الغربية يخلقُ ما يمكن تسميته بالحيرة الرمزية، أو الارتباك الرمزي للقارئ الغربي الذي سيستغرب في أثناء تلقيه هذه الترجمة كيف تتحول هذه النَّدَّاهة رمزُ الإغواءِ والشرّ في الثقافة المصرية إلى بومة وهي رمز الحكمة والوقار في ثقافته الغربية التي تستهدفها الترجمة[35].

خاتمة:

سعى البحث إلى تقصي أهم الأسس والمفاهيم التي قامت عليها اللسانيات التداولية العابرة للثقافات، وقد خلص في مسعاه إلى جملة من النتائج جاءت على النحو الآتي:

1- توصل البحث إلى أنَّ اللسانيات التداولية العابرة للثقافات تُعد حقلا خصبًا من الممكن أن يُعتمد في تسليط الضوء على أسس تعايش الثقافات واحترام الآخر المختلف.

2- تؤكد اللسانيات التداولية العابرة للثقافات مسألة التعدد الثقافي على صعيد البلد الواحد؛ عن طريق بيان اختلاف البيئات الإدراكية بين المتحاورين، وهو أمر يقتضي من أطراف الخطاب تعديل كفايتهم بين الثقافات عن طريق التعديل في ثقافاتهم باستمرار، ومن ثم الالتفات إلى مقاصد الآخر في كلامه وتفسيرها من جهة المتلقي على أسس نابعة من ثقافة الآخر لا من ثقافته هو.

3- إنَّ انفتاح التداولية العابرة للثقافات على العلوم المجاورة جعلها حقلا ذا طبيعة مشتركة بين مجموعة من الاتجاهات اللسانية وغير اللسانية، مثل الدراسات المقارنة، ودراسات اكتساب اللغة الثانية، وعلم اللغة الاجتماعي، والدراسات الثقافية، والأنثروبولوجيا، وعلم الاجتماع.

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العـدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

4- وجد الباحث أنَّ العادات والتقاليد السائدة في ثقافة ما من شأنها أن تتحكم بنجاح التواصل أو فشله بين الجنسين وذلك بحسب المحظور والمتاح في الثقافات التي تختلف من مجتمع إلى آخر.
5- لم تكن إشكالية التواصل بين الذكور والإناث ذات طابع مطلق في الثقافات كافة؛ بل هي ذات طابع نسبي يتجلى بوضوح في بعض الثقافات ويكون غامضا عسير الفهم في ثقافات أخرَ إلا على أهل الثقافة أنفسهم.
6- تستعمل بعض الثقافات عبارات محددة في الاستجابة للمدائح عند الإناث قد يفهم منها الآخر عدم الرضا أو عدم قبول المدائح. بيد أن مثل هذه العبارات نابعة من ثقافة معينة، ويقصد بها التواضع فحسب وليس استجابة سلبية أو عدم الرضا عن الذات أو عدم الثقة بالنفس، ولعل هذا الأمر به حاجة إلى معايشة من أجل فهمه قبل إصدار الحكم على المقصود منه.
7- تستعمل الأفعال الكلامية غير المباشرة في بعض الثقافات بين الذكور والإناث لإنجاز الطلب أو الدعوة حفظًا لماء وجه المتكلم من أن يُراق بالرفض من لدن المتلقي، وهي استراتيجية في الحوار تسمح للمتكلم بتمرير مقاصده ضمنيا وعدم التصريح بها.
8- وجد الباحث في بعض السياقات ممارسة للسلطة من جهة الذكور تجاه الإناث في أثناء التواصل سعياً منهم إلى الهيمنة على الآخر ذهنيًا وصولا إلى القصد المراد، وقد يصل الأمر إلى تقييد حرية الآخر (الإناث) من أن يصرح برأيه إزاء ما يشعر به أو يجول في خلده خشية مما لا تُحمد عقباه.
9- لعلَّ أبرز إشكالات التواصل في مجال الترجمة الثقافية تعود إلى سببين اصطلح عليهما الباحثون بمصطلحين من نسج التداولية العابرة للثقافات وهما: الفشل التداولي الاجتماعي، والفشل التداولي اللِّساني.

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العـدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

هوامش البحث

(1) جورج يول (2010)، التداولية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت: 187.

(1) Thomas. Jenny, (1983). cross – cultural pragmatics failure, 91. In: Applied linguistics, oxford university press, volume 4. No 2.

(1) ينظر: أحمد المتوكل (2003)، الوظيفية بين الكلية والنمطية، دار الأمان، الرباط: 19.

(1) Canale & Swain. Theoretical Bases of Communicative Approaches to Second Language Teaching and Testing, 27. Applied Linguistics (1): 1–47. Retrieved September 29, 2013.

(1) Chunhong. Z & Carol. G, (2011). Intercultural communicative competence, 114. In: English Language and Literature Studies Vol. 1, No. 2; December, Published by Canadian Center of Science and Education.

(1) Ibid, 114.

(1) Ibid, 114.

(1) Usó-Juan and Martínez-Flor, (2008). Teaching Intercultural Communicative Competence through the Four Skills, 161. In: Revista Alicantina de Estudios Ingleses 21.

(1) جورج يوول (2010)، التداولية، مصدر سابق: 187.

(1) ينظر: المصدر نفسه، 130.

(1) ينظر: المصدر نفسه: 132.

(1) ينظر: هشام الخليفة (2007) نظرية الفعل الكلامي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت: 43-44.

(1) Thomas, J. (1983). cross – cultural pragmatic failure, 91.

(1) وهذا لا يعني انتفاء ظاهرة مديح جمال الزوجات في الثقافة العربية؛ إلا أنَّه – بحسب اطلاع الباحث - محصور بالجانب الأدبي، نحو مدح النابغة الذبياني لزوجة النعمان بن المنذر "قصيدة المتجرِّدة". إذ إنَّ هذه الظاهرة شائعة في عصر ما قبل الإسلام. فضلاً عما سبق، فإنَّ العرب سابقاً كانت تفخر بجمال نسائها وتعيِّر الآخرين بقبح نسائهم، نحو ما جاء في معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي "على آثارنا بيضٌ حسانٌ نحاذرُ أن تقسَّمَ أو تهونا". ومن الجدير بالذكر أنَّهُأيضا ظهر في العصر الأموي عند عمرو بن أبي ربيعة العامري، ولكنها تبقى حالات قليلة رهينة عصرها وسياقاتها.

(1) جورج يوول (2010)، التداولية، مصدر سابق: 168-169.

(1) ينظر: المصدر نفسه: 169.

(1) ينظر: المصدر نفسه: 169.

(1) Werizbica. Ann, (1991). Cross –cultural pragmatics, 143-144. the pragmaticsth semantics of human interaction. Berlin, Mouton de Gruyter.

(1) Ibid, 143-144.

(20) Ibid, 144.

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العـدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

(1) Thomas, J, (1983). cross – cultural pragmatic failure, 91.

(1) Hinterholzl. Roland, (2012). A comparison of the realization of requestive speech acts in Italian and German, 22. Anno Accademico, Venesia-Italy.

(1)Ibid, 22.

(1)Nakane, Ikuko, (2007). Silence in Intercultural Communication, 1. John Benjamins company, Amsterdam/Philadelphia.

(25) Yates, Lynda, (2010). Pragmatic challenges for second language learners, 297. in: pragmatics across languages and cultures, volume 7, Berlin/ newYork.

(1) Ibid, 298.

(1) ينظر: جورج يوول (2010)، التداولية، مصدر سابق: 113-114.

(1) ينظر: دان سبيربر وديدري ولسون (2016)، نظرية الصلة أو المناسبة في التواصل والإدراك، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت: 86-87.

(1) Tannen. Deborah, (1993). linguistic strategies rethinking power and solidarity,177. in gender and conversational interaction, oxford university press, Newyork.

(1) ينظر: مارك شتلويرث و مويرا كووى (2008)، معجم دراسات الترجمة، المركز القومي للترجمة، مصر: 87.

(1) ينظر: عماد عبد اللطيف (2012)، البلاغة والتواصل بين الثقافات، وزارة الثقافة، القاهرة: 88.

(1) ينظر: خالد محمود توفيق (2013)، نوادر الترجمة والمترجمين، هلا للنشر والتوزيع، مصر: 16-17.

(1) ينظر: عماد عبد اللطيف (2012)، البلاغة والتواصل عبر الثقافات، مصدر سابق: 86-87.

(34) وليد حمارنة (2016)، الترجمة وإشكالات المثاقفة (2)، منتدى العلاقات العربية والدولية، الدوحة: 301.

هذه القصة في الرواية هي عبارة عن أسطورة متداولة في المجتمع المصري موضوعها أنَّ هناك امرأة يرمز لها بلفظة "النَّدَّاهة" تخرج من الماء فتدعو الرجال إليها عن طريق الإغواء، وما أن يصلوا إلى الماء حتى يغرقوا. وهذه القصة هي عبارة عن رمز متوارث في الثقافة المصرية يشي بتلك الفكرة الضمنية والمتوارثة عن المرأة كرمز للإغواء والشر. ينظر: المصدر نفسه: 301.

(1) ينظر: المصدر نفسه: 301-302.

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العـدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

المصادر والمراجع

1- أحمد المتوكل (2003)، الوظيفية بين الكلية والنمطية، دار الأمان، الرباط، د.ط.
2- جورج يول (2010)، التداولية، ترجمة: د. قصي العتَّابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1.
3- خالد محمود توفيق (2013)، نوادر الترجمة والمترجمين، هلا للنشر والتوزيع، مصر، ط1.
4- دان سبربر وديدري ولسون (2016)، نظرية الصلة أو المناسبة في التواصل والإدراك، ترجمة: هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1.
5- عماد عبد اللطيف (2012) البلاغة والتواصل عبر الثقافات، وزارة الثقافة - القاهرة، ط1.
6- مارك شتلويرث وموريرا مووى (2008)، ترجمة جمال الجزيري، معجم دراسات الترجمة، المركز القومي للترجمة، مصر، ط1.
7- هشام عبد الله الخليفة (2007)، نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1.
8- وليد حمارنة (2016)، الترجمة وإشكالات المثاقفة (2)، منتدى العلاقات العربية والدولية، الدوحة، ط1.

المراجع الأجنبية:

1- Canale, M.; Swain, M. (1980). "Theoretical bases of communicative approaches to second language teaching and testing"(PDF). Applied Linguistics (1): 1–47. Retrieved September 29, 2013.
2- Hinterholzl . Roland, (2012). A comparison of the ealization of requestive speech acts in Italian and German. Anno Accademico, Venesia-Italy.
3- Nakane. Ikuko, (2007). Silence in Intercultural Communication Perceptions and performance. John Benjamins company, Amsterdam/Philadelphia.
4- Tannen. Deborah, the relativity linguistic strategies: rethinking power and solidarity in gender and dominance, 165-189. In: (1993) gender and conversational interaction, oxford university press, new york.
5- Thomas. Jenny: cross- cultural pragmatics failure, 191-112. In (1983) Applied linguistics, oxford university press, volume 4. No 2.
6- Usó-Juan. Esther and Alicia Martínez-Flor. Teaching Intercultural Communicative Competence through the Four Skills, 157-170. In (2008) Revista Alicantina de Estudios Ingleses 21.
7- the semantics of human .Wierzbica. Anna, (1991). cross- cultural pragmaticsth interaction. Berlin, Mouton de Gruyter.
8- Yatse, Lynda. Pragmatic challenges for second language learners, 287-309. in: (2010) pragmatics across languages and cultures, volume 7, Berlin/ newYork.

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العـدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

-9 Zhou. C & Griffiths. C, Intercultural Communicative Competence, 113-122. In (2011) English Language and Literature Studies Vol. 1, No. 2; December, Published by Canadian Center of Science and Education.